



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين:

لم أعرف في حياتي عيداً مر على المسلمين وليس لهم فيه مأساة في شرق الأرض أو في غربها لذلك لن أردد كما فعل آخرون قول المتنبي (عيد بآية حال عدت ياعيد)

فنحن أمة اعتادت إعطاء العيد حقه حتى وهي في قلب المأساة فكيف بها إذا كانت المأساة على مشارفها أو أطرافها ، كل المسلمين حتى الذين في درعا وحماء وحمص ودير الزور وريف دمشق والذين بأرض الروهنج في ميانمار وأثيوبيا سيعطون العيد حقه ويفرحون به وببعضهم ينفض الغبار عن ثياب بعض من آثار دفن شهدائهم ، وربما يتوجهون من مصلى العيد لدفن جثث أخرى أو نقل جرحي آخرين أو رفع أنقاض أسقطها للتو طيارون لا يعرفون لمسلم حرمة فمن باب أولى أن لا يعرفوا حرمة لشهر أو عيد.

سوف تتوجه التكلاوات إلى مصلى العيد وعلى آثارهن اليتامي ، وسوف يذهب إليه الجرحى والمعاقون ، لن يتخلف أحد عن مشهد يوم العيد ، وسوف تسمعهم يرددون لبعضهم رغم كل تلك الجراحات والآلام : عيدكم مبارك ، عيدكم مبارك ، عيدكم مبارك.

الأعجب من ذلك أنه ستشاهد من التكلاوات من سهرت ليلاً لها تصنع حلوي العيد بما بقي عندها من دقيق وما بقي عند جاراتها من لبن وسُكَّر، وستقابل في المصلى من أطفالهن اليتامي من يحمل صحن الحلوي يطوف بها بين المسلمين وهو يردد أمامهم : عيد مبارك ، ويردون عليه العبارة ذاتها عيد مبارك.

سيذهب الجميع لصلة العيد تاركين بيوتهم والعاجزين من أهلهم وكلّ منهم غير آمنٍ أن يكون هذا يومه الأخير على وجه الأرض ، فقد تعلوهم الطائرات في المصلى أو يقصفهم الشبيحة في الطريق إليه ، ومع ذلك قال كلّ منهم لصاحبه : عيد مبارك عيد مبارك.

ليست هذه الصورة خيالاً أو أمنياً حالمـة ، بل قد شهدنا أمثالها في سوريا نفسها ، وفي فلسطين ولibia وغربي الصين

وأفغانستان والبوسنة والهرسك والشيشان والصومال وأثيوبيا وأوغادين .

كأنّي بفرحة العيد في قلب المسلم لها زاويتها الخاصة حيث لا تفسدّها الأحزان والألام ، بل تعمل هي على تجديد عطاء القلوب وتنشئ فيها قوة الصبر وتشيع فيها ضياء الأمل .

وكأنّي بها زاوية في القلب لديها قدرة من عطاء الله سبحانه على تحويل فرحة العيد إلى مصل يعمل على تسكين الألم وبعث الأمل وقتل اليأس وإحياء الرجاء .

تأملَّ كثيرون في أسرار حُلُولِ أعياد الإسلام في أعقاب عبادتِي الصوم والحج ، وعن سر افتتاح يومي العيد بعبادي الصلاة والخطبة، ولم أجد من يكشف هذه الأسرار مثل واقع المسلمين حين يستشعرون هذا المعنى وهم في أحلك الأوقات وأصعب الأزمات ، فيكون عيدهم صلة بينهم وبين خالقهم الذي (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةً مَا تَعْدُونَ) السجدة 5 فيوكون أن تدبيرهم إنما هو من تدبيره عز وجل ، فلا ملك إلا لمن آتاه الله الملك ، ولا عز إلا لمن أعزه الله ولا ذُلٌّ إلا لمن أذله الله (قل اللهم مالك الملك تُؤْتِي الملك من تشاء وتنتزع الملك من من تشاء وتعز من تشاء وتدل من تشاء بيديك الخير إنك على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)آل عمران 26 إن حياة العيد في أجواء من العبادة يُعيد النفس إلى تأمل سنن الله في الكون ، فيوكون المسلم أن للمصائب أسباباً من عند نفسه (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) الشورى 30 ومن سُنُن الله في كونه أن مصائب المؤمنين قرابينهم للآخرة (أحسب الناسُ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمِنًا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمُنَّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمُنَّ الْكَافِرُونَ) العنكبوت 2-3 ، فهي ابتلاء لما القلوب وتحميس لها (ولِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمْحِسَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)آل عمران .

ثم يعلمون أن الإيمان والتقوى هما ما ينبغي أن يقاولون به الابتلاء والتحميس لتكون العاقبة تمكيناً واستخلافاً وأمناً (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بِذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور

55

كل تلك القناعات الإيمانية يعتلج بها قلب المسلم وهو يُمضي العيد في خضم الابتلاءات فلا يملك إلا أن يفرح بعيده ويقول صادقاً من قلبه : عيد مبارك

المصادر: